الوصايا العشر

هذه الوصايا مترجمة مباشرة من كلمة لـ د. «ماريا مونتيسوري» تم نشرها في مجلة «حول الطفل». أما تفسير الوصايا فهو اجتهاد مني كأم وكموجهة مونتيسوري.

«الوصايا العشر» تلخص فلسفة المونتيسوري للقائمين على رعاية الطفل سواء في المنزل أو الحضانة أو المدرسة.

• الوصية الأولى: لا تلمس الطفل إلا إذا دعاك بطريقة أو أخرى.

المقصود هنا هو عدم الإمساك بيد الطفل وهو يعمل أو يكتب أو يرسم في محاولة منك لتصحيحه، وعدم حمل الطفل من مكانه بدون استئذانه، وعدم مساعدته بدون أن يطلب منك، أو أن يتقبل عرضك بمساعدته.

• الوصية الثانية: لا تتحدث بكلام سلبي عن الطفل في وجوده أو عدمه.

أنت قادر تمامًا على صنع مصير طفلك والتنبؤ به. الاسم الرسمي لهذه النبوءة هو: نبوءة ذاتية التحقق! مثل سلسلة من التفاعلات الكيميائية، تعمل هذه النبوءة، تقول شيئًا ما بناء

على إحساس أو حدث أو تصور، ثم تكرر هذا القول، ثم تبدأ في التعامل على أساس ما قلت، حتى يصبح ما تنبأت به حقيقة.

المثال الأول:

تقول الأم لطفلتها «ما حدش عدل هيرضى يتجوزك» كمحاولة منها لتحفيزها على تعلم الطبخ أو المشاركة في الأعمال المنزلية أو لأي سبب آخر. تتكرر هذه الجملة في مناسبات مختلفة وفي كل مرة تطلق هذه النبوءة يتشكل مصير الطفلة. تصدق الطفلة أنها غير جديرة بالحب أو أنها لا تستحق حياة زوجية مستقرة وتبدأ تتعامل مع الحياة على هذا الأساس، على أساس أن «ماحدش عدل هيرضى يتجوزك». إذا حاول شخص مناسب الارتباط بها ترفضه تلقائيًّا لأنها مدركة في أعماقها أنها لن تجذب شخصًا جيدًا. ينتهي الأمر بأنها لا تتزوج على الإطلاق أو أنها تختار كل من هو غير مناسب لترتبط به، وهكذا تتحقق النبوءة.

المثال الثاني:

يقول الأب لابنه «إنت فاشل» أو «إنت غبي» أو «إنت خسارة فيك التعليم» أو «إنت ما فيش منك رجا». في البداية يشعر الطفل بالجرح والإهانة ويحاول إثبات عكس النبوءة، ولكنه يعرف في أعماقه أن الأب لا يمكن أن يخطئ، وأن المدرس أكبر وأكثر علمًا، فلابد أن كلامهم عنه حقيقي! يصدق الطفل أنه غبي أو أنه فاشل، ويبدأ في التصرف بغباء ويفشل دون حتى أن يحاول فيكبر ويصير بالفعل فاشلًا!

المثال الثالث:

يقول رجل الدين للطفل «هتدخل النار» أو «ربنا مش بيحبك» أو «إنت شيطان»، وتبدأ رحلة تحول الطفل من البراءة والطفولة والإيمان الفطري إلى التحدي والعند والتمرد واللامبالاة.

في كتابها سر الطفولة، نهت د.«ماريا مونتيسوري» القائمين على رعاية الطفل عن توجيه الكلام السلبي له، وضربت مثالًا لطفل يتسلق شجرة. إذا قالت له أمه «هتقع»

سيقع، ولكن إذا قالت له أمه كن حذرًا حتى لا تقع، سيكون حذرًا حتى لا يقع. لقد رأت د.«مونتيسوري» طفلًا بالفعل يتسلق شجرة عالية، ويقول في سره بصوت خافت: «كن حذرًا، كن حذرًا».

للأسف الأشخاص المتحكمون بمصير الطفل هم البالغون الذين وثق بهم الطفل ثقة تامة، مثل الأم والأب والجد والجدة والمعلم/ ة والمدرب/ ة. إذا كنت أحد هؤلاء الأشخاص، أنصحك بأقصى درجات ضبط النفس عند التعامل مع الطفل، لأن ما تقوله في لحظات الغضب، أو من أجل تشجيعه أو تحفيزه، قد يصيبه في مقتل ويقضي على فرصه في السعادة وتحقيق ذاته!

• الوصية الثالثة: ركز مجهودك على تنمية وتطوير كل ما هو جيد وطيب في طفلك حتى لا تترك مساحة كبيرة لظهور المساوئ أو الشرور

المقصود هنا هو استغلال مزايا طفلك وصفاته الحميدة في تربيته وتعليمه، وهكذا لا يفقد الطفل إيمانه بنفسه، بسبب كثرة الانتقاد والرفض، فيبدأ في تصدير كل ما هو مسيء وخبيث للعالم من حوله.

• الوصية الرابعة: كن فعالًا نشطًا في إعداد بيئة عمل الطفل. ساعد الطفل على تكوين علاقة بناءة ببيئته من خلال معرفة مكان أدواته وكيفية استخدامهم والحفاظ عليهم.

المقصود هنا هو أن تعتني عناية فائقة ببيئة طفلك من حيث النظام والجمال والتناسق والنظافة، ليتعلم طفلك هذه القيم. كذلك علم طفلك أماكن أدواته وأنشطته وكيف يستخدمهم ويحافظ عليهم. لا تنس أن من حق الطفل الوصول لجميع الأرفف والأدوات، والطريقة الوحيدة للحفاظ عليهم هي تعليم الطفل كيفية التعامل معهم.

• الوصية الخامسة: كن جاهزًا مستعدًّا لتلبية نداء طفل يحتاجك، وأتقن الإنصات والاستجابة لطفل يستجدي اهتمامك

المقصود هنا هو عدم تجاهل نداء الطفل لأي سبب، وعدم تجاهل أسئلة الطفل، وعدم تهميش الطفل واحتياجاته الملحة مهما بدت غير ملحة لك.

• الوصية السادسة: احترم الطفل الذي يخطئ والذي يحاول تصحيح خطئه في نفس الوقت أو في وقت آخر، ولكن لا تتهاون في منع الطفل من إساءة استخدام الأدوات أو من الإضرار بنفسه أو غيره.

المقصود هنا هو عدم الهجوم على طفل يحاول أن يتعلم مهارة ما وعدم سحب الأدوات منه وهو ما زال يحاول إتقان استخدامها وفهم مغزاها، ولكن إذا وجدت طفلًا يخرب أو يدمر أو يخل بقواعد احترام المكان تدخل فورًا من أجل حمايته وحماية الآخرين.

• الوصية السابعة: احترم الطفل الذي اختار أن يستريح أو أن يشاهد عمل الأطفال الآخرين في صمت أو طفل وقف يتأمل عمله ويفكر به. لا تناديه ولا تجبره على البدء في نشاط ما.

المقصود هنا أن من حق الطفل أن يرتاح وأن يتأمل عمله وأن يشاهد الآخرين ويتعلم منهم. من حقه أن يفكر وأن يستوعب وأن يختار متى يبدأ نشاطه التالي. هذا جزء أساسي من عمل عقل الطفل وهضمه للمعلومات التي تلقاها من خلال حواسه أثناء العمل.

• الوصية الثامنة: ساعد من يبحث عن نشاط ولم يجده

المقصود هنا هو مساعدة فقط من يحتاج المساعدة، وفي هذه الحالة، طفل يبحث عن نشاط ما ولا يعرف أين هو أو ما هو. في هذه الحالة يمكنك أن تساعده بالنشاط أو البدائل.

• الوصية التاسعة: لا تكل ولا تمل من تقديم العروض لطفل ما، حتى وإن رفضها فيما مضى، ولا تمل من مساعدة الطفل في الحصول على علم ليس ملكه بعد أو تطوير نفسه. افعل هذا من خلال تحريك البيئة المحيطة بالطفل، من خلال الصمت وضبط النفس، ومن خلال الكلمات اللينة والحب، ومن خلال إظهار نفسك للطفل الباحث عن شيء ما، وإخفاء نفسك عن طفل وجد ضالته.

تخاطب هذه الوصية أخطاءنا المتكررة، الملل من تقديم العروض للطفل وخاصة في حالة رفضه للنشاط وانصرافه عنه. الملل من عدم قدرة الطفل على الاستيعاب، بحكم مهاراته وقدراته وعمره. الملل من أخطاء الطفل المتكررة. الملل من أسئلة الطفل. في نفس هذه الوصية

تقدم لنا د. «ماريا مونتيسوري» الحلول الذهبية لمعاناتنا: تقديم العروض مرات ومرات وفقًا للمراحل الحساسة للطفل واحتياجاته، تغيير الأنشطة المتاحة أمام الطفل ليجد الطفل الفرصة لتطوير نفسه وإشباع شغفه، الصمت بدلا من الكلام الجارح وضبط النفس عن استخدام العنف اللفظي أو الجسدي، تعليم الطفل بالحب والصبر والكلمة الطيبة، مساعدة الطفل الذي يحتاج مساعدة، وترك الطفل المنهمك في نشاط ما يعمل منفردًا مستقلًّا.

• الوصية العاشرة: عامل الطفل بأفضل أخلاقك وقدم له أحسن ما عندك وأرقاه.

لا تحتاج هذه الوصية إلى تفسير! هذه دعوة للتأمل ولتجديد العهود مع النفس والوعود للطفل.